مجلة العلوم الإنسانية ـــــ عدد46-ديسمبر2016، المجلد أ، ص.ص.371-386 ـــــــ

حجاجية الاستعارة في شعر النقائض جرير والفرزدق أنموذجا

بن عاشور فريدة
قسم الآداب واللّغة العربية
جامعة الإخوة منتوري
قسنطينة

ملخص:
حظيت الاستعارة باهتمام الدارسين قديما وحديثا، وجسدت حضورها في كلّ الخطابات ، على اختلاف أنواعها وأشكالها،باعتبارها من أهمّ الخصائص الجوهرية للّغات الطبيعية.وقد شكّلت منطلقا للعديد من النظريات التي تباينت واختلفت توجهاتها،ولعل ما يهمنا هو ذلك التوجّه الذي يرى أنّ وظيفتها لا تكمن في بعدها الفني فقط،بل في بعدها الحجاجي والاقناعي،وهو المجال الذي يتنزّل فيه هذا المقال،والذي نسعى من خلاله لمقاربة الاستعارة حجاجيا، باعتماد مدوّنة شعرية تراءى لنا قيامها على المحاججة وهي "نقائض جرير والفرزدق".
وقد جاء عملنا موزّعا على جانبين: جانب نظري، وجانب تطبيقي. نتناول في الجانب النظري حجاجية الاستعارة في الدراسات القديمة وكذا الحديثة، الغربية منها والعربية، وذلك بالوقوف على المجهودات الرائدة في هذا المجال.وقد آثرنا من القدماء أرسطو وعبد القاهر الجرجاني،ومن المحدثين شايم برلمان وطه عبد الرحمان،حيث حاولنا ابراز تصوراتهم عن الوظيفة الحجاجية للاستعارة.
أما الجانب التطبيقي فنخصصه لبحث كيفية اشتغال الاستعارة حجاجيا في نقائض جرير والفرزدق، على أن نحصر عملنا في غرضين هامين انبنى عليهما شعر النقائض وهما: الفخر والهجاء .وفيه نقف على جملة من الاستعارات لكل من جرير والفرزدق، ونتناولها بالدراسة والتحليل، محاولين ،قدر المستطاع، ابراز الجانب الحجاجي فيها .ونخلص في الأخير إلى جملة من النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة.
الكلمات المفتاحية: حجاجية الاستعارة ; شعر النقائض ; جرير ; الفرزدق ; أنموذجا

Abstract:
Metaphor has received the interest of researchers in the past and at present.It realises its presence in all discourses even daily ones.It has been in the heart of studies of many theories amoungst them the argumentation one.

In This article we attempt to approach the argumentative metaphor depending on a poetic corpus exemplified in « ENAKAIDh ».This work is ther divided into two parts :one is theoretical and the other is practical.

In the theoretical part,we tray to highlight the argumentative metaphor in the ancient and modern studies through the efforts of Aristote,ElDjorjani ,Chaim Perelman and Taha Abd Errahmene.Yet the pratical part is devoted to the way the anguentative metaphor functions in the poetic texts of Djarir and Elfarezdak through two aims :praise and satire.

مقدّمة:

حظيت الاستعارة باهتمام الدارسين قديما وحديثا ،على تنوّع مشاربهم،وأولوها اهتماما كبيرا من حيث الوظيفة والمفهوم،فشكّلت بؤرة توجّهاتهم البحثية والنقدية.ومردّ ذلك الاهتمام المهمّة البالغة التي تنهض بها داخل النّص والمتراوحة بين الامتاع والإقناع.فالاستعارة لم يعد يُنظر إليها على أنّها مجرّد محسن لفظي فحسب،بل اعتُبرت مقوّما حجاجيا،يؤدي وظيفة حجاجية إقناعية،وبذلك سجّلت حضورها في كلّ الخطابات على اختلاف أنواعها وأشكالها

© جامعة الإخوة منتوري قسنطينة1 الجزائر2016

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويشكّل الجانب الحجاجي من الاستعارة موضوع هذا المقال،والذي نسعى من خلاله للبحث عن كيفيـــــة اشتغال الاستعارة حجاجيا في مجال الشّعر محدّدين مدوّنة البحث في "نقائض جرير والفرزدق".وقبل الشـــــــروع في ذلك ارتأينا أن نمهّد بجانب نظري نتتبع فيه حجاجية الاستعارة بين القدماء والمحدثين ،والوقوف على جهود الدارسين الغربيين والعرب على حد سواء .

حجاجية الاستعارة في الدراسات الغربية القديمة :

أرسطو : Aristote(ت 322ق.م)

يعدّ أرسطو أقدم من تحدّث عن الاستعارة،وقد اعتبر الخطابة والشّعر شكلين متميزين من الخطاب،وبنيـــــــة الاستعارة في كليهما واحدة،غير أنّ لها وظيفتين مختلفتين:وظيفة بلاغية تسعى إلى الإقناع،ووظيفة شعرية تســــــعى إلى التّطهير بواسطة أحداث تثير الشّفقة والخوف[1]. وبذلك فإنّه يحصر الاستعارة في نوعين محدّدين من الخطاب وهما الشّعري والخَطابي،في حين تذهب الدراسات الحديثة إلى جعل الاستعارة تحضر في كلّ الخطابات وحتّى اليومية منها.

تناول أرسطو الاستعارة في موضعين من كتاب (الخطابة)،فقد تحدّث عنها في باب الشاهد الذي قسّـــــمه إلى الواقعي والصّناعي،المحتمل والخرافي[2]،وفي هذا الموضع يعتبر الاستعارة مقوّما حجاجيا،كما تحدّث عنـــــــــــــها في معرض كلامه عن الأساليب ليعتبرها محسنا لفظيا.ومن هذا يمكننا القول إنّ أرسطو لم تكن له نظرة واضـــــــحة ومحدّدة اتجاه وظيفة الاستعارة إذ يعتبرها تارة مقوّما حجاجيا، وأخرى مجرّد محسن لفظي لتزيين الكلام .ويمكن لهذا اللّبس أن يزول إذا ربطنا الوظيفة بطبيعة الخطاب،وعليه تكون الاستعارة،في الخطابة مقوّما حجاجيا وفي الشّعر محسنا لفظيا.

تعريف الاستعارة :

ربط أرسطو الاستعارة بالاسم وعرّفها باعتبارها نقلا أو تغييرا ،فهي "نقل اسم شيء إلى شيء آخر"[3] وقد أقام تصنيفه لها على أساس النّقل :من الجنس إلى النّوع ومن النّوع إلى الجنس،ومن النّوع إلى النّوع ،وحسب علاقة التناسب[4].

وعلى اعتبار أنّ أرسطو أقدم من أصّل للاستعارة،فقد شكّلت دراساته نقطة انطلاق كثير من الباحثين سواء أكان ذلك اتفاقا أو اختلافا،وممّا سُجل على تعريفه للاستعارة الاستنتاجات التالية:

-الاستعارة تقتصر على الاسم فقط،ولا تتعداه إلى الجملة والخطاب.

-حدّدت الاستعارة بمفاهيم تدل على الحركة في المكان،أي أن الاستعارة تقوم على نقل كلمة من مكانها الأصلي إلى مكان آخر غريب عنه.

-لغة تعريف الاستعارة مجازية ،تنتمي إلى مجال الحركة والانتقال من فضاء إلى فضاء ،وهو ما دفع بعض الباحثين الغربيين إلى القول بعدم القدرة على ضبط الاستعارة والمحسنات،بصفة عامة،بواسطة التصنيف والترتيب من جهة، وبعدم قدرة الفلسفة على طرد المجاز والاستعارة من لغة خطابها،والاقتصار على المفاهيم المجردة فقط.

-الاستعارة انزياح عن معان مألوفة.

-تقوم الاستعارة على فكرة الاستبدال[5].

وانطلاقا من وظيفة الاستعارة فقد تنوّعت بحسب تعدّد المتلقين للخطاب،ويتضّح تقسيمه لها من خلال ما يأتي:

أقسام الاستعارة:

جعل أرسطو الاستعارة ثلاثة أقسام،أولاً:الاستعارة الجمهورية،وتهدف إلى الإبلاغ،وثانيا:الاستعارة الشّعريـــــة وهي لا تهدف إلّا إلى ذاتها،ولا تحيل إلاّ على ذاتها، وثالثاً: الاستعارة الحجاجية، وتهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقي،وهي ليست مظهرا داخليا في الخطابة،بل مجرد مظهر خارجي لاجتذاب السّامع وابهاجه[6].

وقد طغت أفكار أرسطو على الدارسين لقرون عديدة،وبعد انبعاث البلاغة ظهرت آراء مغايرة ووجهـــت لأرسطو جملة من الانتقادات من بينها تحديد الاستعارة في اللّفظ دون المعنى،وحصر

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وظيفتها في الجانب التـــ ـزييني والخلط بين التشبيه والاستعارة[7].ومن بينها أيضا،ما ذهب إليه آ.أ.ريتشاردز حينما علّق على قول أرسطو: ((إنّ أعظم شيء هو القدرة على صياغة الاستعارة...وهذا وحده لا يمكن أن ينقل إلى الآخر لأنه علامة العبقـــــــرية.إنّ صياغة استعارات جديدة يعني القدرة على رؤية المتشابهات)).فاعتبر أنّ تأمل هذا القول يكشف عن الحضـــــــــــــور الفاسد لثلاثة افتراضات[8]:

الافتراض الأول:هو أنّ القدرة على رؤية المتشابهات موهبة يمتلكها بعض النّاس دون بعض.وواقع الحال أنّه على الرّغم من أنّ بعض النّاس قد يملك مقدرة على رؤية"المتشابهات"أكثر من غيرهم،فإنّ الاختلاف بينهـــــــــــم في الدّرجة فقط.والافتراض الثاني:وهو أنّ هذا الشيء"الموهبة على صياغة الاستعارة"لا يمكن نقله إلى الآخرين. فنحن كأفراد نكتسب قدرتنا على الاستعارة مثلما نتعلّم أيّ شيء يميّزنا كبشر.أما الافتراض الثالـــــــــــث:ينبـــــــــــني على الافتراض السّابق،ويرى أنّ الاستعارة شيء خاص واستثنائي في الاستعمال اللّغوي،أي إنّها انحراف عن النّمط الاعتيادي للاستعمال،بدلا من أن تكون المبدأ الحاضر أبدا في نشاط اللّغة الحر.

حجاجية الاستعارة في الدراسات العربية القديمة:

شغلت الاستعارة اهتمام الدارسين العرب القدماء فكانت مثار توجّهات اللّغويين والنقاد والبلاغيين على حد سواء،وذلك في إطار اهتمامهم بالقرآن الكريم ومباحث الحقيقة والمجاز،الشّيء الذي جعلهم يختلفون في وجهات النّظر،من حيث الدّلالة والوظيفة.و قد اتسمت بالاختلاف والتّباين حسب ما اقتضته طبيعة كلّ باحث.وتدفعنا طبيعة دراستنا إلى تجاوز التأصيل لـ"الاستعارة" وتتبّع تطورها لنحصر دائرة البحث في تلك الجهود التي لامســــــــت الجانب الحجاجي للاستعارة،وقد تجلّت لنا واضحة عند عبد القاهر الجرجاني.

عبد القاهر الجرجاني(ت 471 ه) :

تناول الجرجاني الاستعارة في إطار نظرية النّظم،التي يحتجّ من خلالها على فضل المعنى على اللّفظ ،وجعل الاستعارة في المعاني وليس في الألفاظ مؤكّدا أنّ الصورة المجازية لا تتّضح قيمتها المعنوية والشعورية إلاّ في إطـــــــــار نظمها وسياقها[9].وقد حدّ الاستعارة بقوله: ((اعلم أنّ الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللّغوي معروفا تدل الشواهد على أنه اختصّ به حين وُضع،ثمّ يستعمله الشّاعر أو غير الشّاعـــــــر في غير ذلك الأصل،وينقله إليه نقلا غير لازم،فيكون هناك كالعارية))[10].

لقد أقام الجرجاني مفهوم الاستعارة على النّقل،لكنّه كشف عن لزوم العلاقة بين المستعار له، والمستعار منه وهي علاقة مشابهة،وأنّ النّقل لابدّ أن يكون للمبالغة في إظهار الصورة بمظهر جميل يؤثر في العاطفة ويلهـــــــــــب الخيال[11].

وبعد طرح معمّق لفكرة قيّام الاستعارة على النّقل اتّضح له أنّ نقل اللّفظ عمّا وضع له في اللّغة واستعمـــــــــاله في معنى غير معناه يجعل ذلك اللّفظ ((كأنّه لم يوضع لذلك المعنى الأصلي أصلا))[12] ،وبذلك أقرّ بوجود تناقض ((فأمّا أن تكون ناقلا له عن معناه مع إرادة معناه فمحال متناقض))[13] وبالتالي توصّل إلى طرح فكرة النّـــــــــــــــقل والقول بـــ "الادّعاء":((ليست الاستعارة نقل اسم عن شيء إلى شيء،ولكنّها ادعاء معنى الاسم لشيء))[14].

وبهذا يكون الجرجاني قد قدّم مفهوما متّسقا للاستعارة،يختلف اختلافا جذريا عن نظرة سابقيه،مفهوم يطرح فكرة النّقل السّابقة ليقدّم تصوّرا جديدا على أنّها ادّعاء[15]،وجعل هذا الادّعاء يتمّ بطريقتين:((وذاك أنّـــــــــــك في الأوّل تجعل الشّيء الشّيء ليس به،وفي الثاني تجعل للشّيء الشّيء ليس له))[16].

بنى الجرجاني الاستعارة على مفهوم الادّعاء مؤكّدا أنّ الاستعارة ادّعاء معنى اللّفظة لا نقلها.وتظهر فائـــــدة الاستعارة من خلال توصيلها معنى لا يمكن الوصول إليه دونها[17].فهو لم يتوقّف عند حدود المفهوم فحسب بل تعدّاه إلى دورها؛حيث حدّده قائلا : ((فإنّك لترى بها الجماد حيّا ناطقا،والأعجم فصيحا،والأجسام الخرس مبيّنة،والمعاني الخفيّة باديةً جليّة))[18].وعليه،فإنّ الاستعارة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تمتلك القدرة على الإبانة والتّوضيح،وتقريب الصـــــــــورة إلى الأذهان،وذلك من شأنه أن يؤثّر في النّفوس ويحرّكها،ويمكن للتأثير النّفسي أن يتحوّل إلى تأثير عقلي.

لقد فطن الجرجاني إلى أنّ الطرق التي تسلكها الاستعارة لا نهائية ومتشعّبة،والتأثيرات التي تملكها غير محصورة فهي ((أمدُّ ميدانًا،وأشدُ افتنانًا وأكثرُ جريانًا،وأعجبُ حسنًا وإحسانًا ،وأوسع سَعةً،وأبعدُ غورًا،وأذهب نجـــــــــــــــدا في الصّناعة وغورًا،من أن تجمع شُعبها وشعوبها،وتحصر فنونها وضروبها،نعمْ وأسحرُ سحرًا،وأملأُ،بكل ما يملأ،صدرًا ويمتّع عقلاً،ويؤنس نفسًا،ويوفّر أنسًا))[19].

وبذلك فالاستعارة،عند الجرجاني،لا يقف أثرها عند حدود النّفس فقط،بل يمتد إلى الفكر أيضا،وهذا التأثير المزدوج جعلها تتقلّب بين وظيفتين هامتين هما:الامتاع والإقناع.

حجاجية الاستعارة في الدراسات الغربية المعاصرة:

شايم برلمان:(Chaim Perelman)

حاول برلمان أن يقدّم تحديدا جديدا للاستعارة يختلف عن تلك التي شاع الحديث عنها في الدراسات البلاغية القديمة.فالبلاغة القديمة كانت تميّز بين المقوّمات الحجاجية والمقوّمات الأسلوبية التزيينية،أما بـــــــرلمان فقد انطـــــــــــلق من التّسليم بأنّ كلّ المقوّمات التي اعتبرت عند المتقدمين مجرّد محسنات هي عنده مقوّمات حجـــــــــاجية إقناعية. وبذلك تفادى خطأ أرسطو الذي كان يعتبر الاستعارة تارة مقوّما حجاجيا وتارة محسنا لفظيا[20].وفي هذا الشّأن نجد برلمان يقول :

((إنّ محسّنا لهو حجاجي إذا كان استعماله،وهو يؤدّي دوره في تغيير زاوية النّظر،يبدو معتادا في علاقته بالحالة الجديدة المقترحة.وعلى العكس من ذلك،فإن لم ينتج عن الخطاب استمالة المخاطب،فإنّ المحسن سيتمّ إدراكه باعتباره زخرفة،أي باعتباره محسنا أسلوبيا،ويعود ذلك إلى تقصيره عن أداء دور الإقناع))[21].وبذلك يكون برلمان قد حدّد طبيعة المحسنات تبعا للوظيفة التي تؤديها،فإذا امتلكت القدرة على التأثير في المخاطَب،واستمالته لتغيير وجهة نظره في قضية ما،وإقناعه بها،فإنّ تلك المحسنات تكون حجاجية.أما إذا عجزت عن النهوض بتلك الوظيفة (التأثير والإقناع)، فهي لا تعدو أن تكون مجرد حِلية،لا تتجاوز حدود التزيين.

وفي إطار البلاغة الجديدة،استند برلمان في طروحاته على بعض الجهود السابقة لكنّه أضاف الجديد الذي تمثّل في إبطال مفعول بلاغة المحسنات،وإدراج الاستعارة والتشبيه ضمن بلاغة الحجاج وكذلك إبطال الهويـــــــــــة الملتبسة والمزدوجة بين التشبيه والاستعارة[22].

يقول برلمان:((إنّ أيّ تصوّر للاستعارة لا يلقي الضوء على أهميتها في الحجاج لا يمكن أن يحظى بقبولنا،إلاّ أننا نعتقد أنّ دور الاستعارة سيتضّح أكثر بربطه بنظرية التناسب الحجاجي...إننا لا نستطيع في هذه اللّحظة وصف الاستعارة إلاّ باعتبارها،على الأقل من وجهة نظر حجاجية، باعتبارها تناسبا مكثفا ناتجا عن ذوبان عنصر المستعار منه في المستعار له))[23].

بنى برلمان تعريفه هذا على التعريف الذي قدّمه أرسطو للاستعارة،وجعلها نوعين : الاستعارة التناسبية،وهي الأصل،والاستعارة غير التناسبية،وهي التي يقع التوحّد بين طرفيها أي الموضوع والشبيه.وبهذا نكون أمام نمطـــــــــــين من المشابهة:مشابهة قائمة بين دلالتين موجودتين في التمثيل الدلالي للطرفين،إلاّ أنّها أقوى في الشبيه،ومشابـــــــــــهة قائمة بين علاقتين[24].

ويذهب محمد الولي إلى القول ((إنّ العلاقات التي يسمح بها التناسب قد لا تسمح بها الاستعارة.إذ إنّنا نستطيع بوضع شيئين غير متشابهين في وضع المتشابهين اعتمادا على ربطهما بعلاقة متشابهة.إنّ التشابه الطارئ في التناسب يكتسب بفضل هذا الربط .ولهذا أمكن القول إنّ الإمكانيات الابتكارية في التناسب أقوى منـــــــــها في الاستعارة.إلاّ أنّ برلمان يلّح على اعتبار الاستعارة هي مجرّد تناسب حُذفت بعض أطرافه))[25].

أصرّ برلمان على اعتبار كلّ استعارة هي في الأصل تناسب، إنّه يشدّد على هذه الملامح المعرفية ،أوالحجاجية .وكأنّه ينصح بأن تكون الاستعارة متوفّرة دوما على عناصر مشابهة.إذ بدونها لا تستطيع

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القيام بأدوارها الحجـــــــــــــــاجية. بل إنني أعتبر التناسب أقرب إلى التشبيه،إذ إنّ المشبه يحضر إلى جانبه ما نعتبره من صفات المشبه به[26].

حجاجية الاستعارة في الدراسات العربية المعاصرة:

طه عبد الرحمان:

انطلق طه عبد الرحمان من كون الحجاج ينطوي على قدر من الالتباس في الوظيفة؛حيث يجتمع فيه اعتباران هما:"اعتبار الواقع"و"اعتبار القيمة"[27]،معتبرا أنّ ما يحدّد ماهية الحجاج إنما هو العلاقة المجازية إذ لا حجاج بغير مجاز[28] ممّا يدفعنا إلى استنتاج أنّ المجاز هو الأصل في الحجاج.

وقد حصر نموذج العلاقة المجازية في العلاقة الاستعارية،ذلك أنّ التعالق بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي يبرز أكثر ما يبرز في علاقة المشابهة،فـــــــ((الاستعارة هي المجاز الذي يقوم على علاقة المشابهة بين المعنى الحقيقي والمعنى القيمي؛وحيث إنّ المشابهة أدلّ على غيرها من التعالق بين هذين المعنيين،فقد ظهر أنّ الاستعارة هي أدل ضروب المجاز على العلاقة المجازية))[29] ، فالاستعارة هي أهمّ علاقات المجاز،فهي إذن أدلّ ضروبه على ماهيـــــــة الحجاج .

بنى طه عبد الرحمان نظريته في حجاجية الاستعارة انطلاقا من جهود عبد القاهر الجرجاني؛حيث رأى أنّه أدرك الالتباس الاستعاري من خلال قوله بـ"الادّعاء" الذي يقوم على مبادئ ثلاثة هي[30]:

1-مبدأ ترجيح المطابقة والمقتضى المطابقي:

وينبني عليه أن المستعير يبلغ بالتشابه بين المستعار منه والمستعار له درجة ينتفي معها الاختلاف والتفاوت بينهما،حتّى يصيرا عنده شيئا واحدا،والمقتضى المطابقي للادّعاء هو أنّ القول الاستعاري ملتبس أو يحتمل تخريجه على المعنى الظاهر،فضلا عن احتماله الدلالة على المعنى المجازي.

2-مبدأ ترجيح المعنى والمقتضى المعنوي:

ويترتّب عليه أن التغيير الذي تُحدثه الاستعارة في اللّفظ يتعلق أساسا بالمعنى،وبما أنّ الإعارة تلحق المعنى قبل أن تلحق المبنى ،فمدار فهم الاستعارة ليس على المعنى المأخوذ مباشرة من اللّفظ،وإنما على معنى ثانٍ يتولّـــــــــــــــد في النّفس بطريق هذا المعنى الأصلي،ويصل إليه المستمع إما بلزوم قريب عن المعنى الظاهر،أو بلزوم بعيد يقتضي وسائط دلالية أخرى تزيد أو تنقص.

والمقتضى المعنوي للادّعاء هو أنّ القول الاستعاري يستند إلى بنية استدلالية.

3-مبدأ ترجيح النظم والمقتضى النظمي:

وينبني عليه أنّ الكلام متعلّق بعضه ببعض، ومترتّب بعضه على بعض بوجه مخصوص،ولا يتمّ ذلك إلاّ بتوخّي أمرين هما:

1-مقتضيات العقل، فليس النّظم مجرّد توالي الألفاظ في عملية النّطق،وإنما هو تناسق دلالاتها فيما بينها تناسقا يستوفي شرائط التعليل العقلي.

2-قوانين النّحو،وهو النّظر في أسباب التفاضل التعبيري والتبليغي للجملة،فضلا عن قيامها بشرائط السلامة التركيبية.

والمقتضى النّظمي للادّعاء،هو أنّ القول الاستعاري يصير تركيبا خبريا أصليا،لا ينحصر في الربط بين مخبر عنه ومخَبر به،بل يضيف إليهما عنصرا ثالثا هو ذات المُخبر. وبزيادة هذا العنصر يكون عبد القاهر قد نقل القـــــــــول الاستعاري من مرتبة الدّلالة المجردة إلى مرتبة التداول التي تتوخى مقتضيات مقام الكلام.

وبهذا يتّضح أن القول الاستعاري تجمع له الأوصاف الثلاثة : أنه تركيب خبري تداولي،وأنّه قابل للأخـــــــذ على جهة الحقيقة،وأنّه مشتمل على بنية تدليلية.وكلّ قول هذه أوصافه ،يُعدّ في سياق الجدل الذي نهجه الجرجاني بمنزلة"دعوى"،كما يعدّ صاحبه "مدّعيا" ويعدّ عمله "ادعاءً".

حاصل الكلام أنّ الجرجاني وضع أصول نظريته في الاستعارة ،متأثرا من جهة بأساليب في الحجاج متعارف عليها كالردّ على أقاويل المعترض وعلى شبه تأويله،ومقتبسا من جهة أخرى عناصر من جهاز مفهومي متأصـــــــــــــل في المجال التداولي الإسلامي العربي،وهو"الجهاز الحجاجي للمناظرة"منها:الادّعاء،والدعوى والإثبات والتقريـــــــــــــــــــر والسؤال والاعتراض

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمعارضة،والدليل والشّاهد،والاستدلال والقياس.وجعل من مفهوم"الادّعاء"أداته الاجرائيـــــــــــــــة الأساسية في وصف آليات الاستعارة ونقله إلى المجال البلاغي بكلّ أوصافه المشهورة التي تعود إلى ثلاثة أصليـــــــــــــة: التقرير أو الخبر،والتحقيق،والتدليل[31].

وقد انطلق طه عبد الرحمان في بناء نظرته التعارضية للاستعارة من افتراض أنّ القول الاستعاري قول:

- حواري ،وحواريته صفة ذاتية له.
-حجاجي،وحجاجيته من الصّنف التفاعلي ويُخص باسم"التّحاج".
- عملي،وصفته العملية تُلازم ظاهره البياني والتخييلي[32].

وحدّد الذوات الخطابية التي تشترك في القول الاستعاري انطلاقا من كونه يتألف من مستويين:مستوى المعنى الحقيقي ومستوى المعنى المجازي ،فبالإمكان أن نخصّص لكلّ مستوى مقاما.وبما أن المعنى الحقيقي "ظاهر غير مراد"أو"ظاهر مؤوّل"،والمعنى المجازي "مضمر مراد"أو"مضمر مبلغ"،جاز أن نميّز في المقام الحقيقي بين "حال الإظهار"و"حال التأويل"،وفي المقام المجازي بين "حال الإضمار"و"حال التبليغ".

وعليه فإنّ الذوات الخطابية التي تشترك في بناء القول الاستعاري أربع،لكل منها وظيفة تخاطبية متميّزة : ذات مظهرة ومؤوّلة ومضمرة ومبلّغة.وفي القول الاستعاري يقوم المتكلّم بالأدوار الخطابية لكل هذه الذوات في آن واحد وهذه الذوات هي:

1-الذات المُظهرة:وظيفتها الحجاجية ادّعاء وجود المعنى الحقيقي للجملة،أي ادّعاء المطابقة بين المستعار له والمستعار منه.

2-الذات المؤوّلة للمستعير:يتمثل دورها الحجاجي في الاعتراض على وجود المعنى الحقيقي للجملة،أي إنكار المطابقة بين المستعار له والمستعار منه،بما أنّ المعنى المؤوّل أولى بالخفاء من المعنى المضمر.

3-الذات المضمِرة:هي من ذات المستعير،وظيفتها الحجاجية ادّعاء وجود المعنى المجازي للجملة،أي ادّعاء المباينة بين المستعير له والمستعار منه.

4-الذات المبلّغة للمستعير:ويتجلى دورها الحجاجي في الاعتراض على وجود المعنى المجازي للجملة،أي إنكار المباينة بين المستعير له والمستعير منه،بما أنّ المعنى المبلّغ أولى بالظهور من المعنى الحقيقي غير المبلّغ[33].

وفي الأخير يخلص طه عبد الرحمان إلى توضيح فعالية الاستعارة وذلك من خلال ارتكازها على المستعار منه إذ ينزل منزلة الشاهد الأمثل والدليل الأفضل ((فتكون الاستعارة بذلك أدعى من الحقيقة لتحريك همّة المستمـــــع إلى الاقتناع بها والالتزام بقيمها،فالمستعير يقصد أن يغيّر المقاييس التى يعتمدها المستمع في تقويم الواقع والسلوك وأن يتعرّف المستمع على هذا القصد منه،وعلى معنى كلامه وما يلزم عنه،وأن يكون هذا التعرف سبيلا لقبـــــــول خطابه ولإقباله على توجيهه))[34].وعليه،فإنّ القيمة الحجاجية للاستعارة تكمن في قدرتها على التأثير في المستمع ودفعه إلى الاقتناع بها،والالتزام بقيمها.

كيف تعمل الاستعارة الحجاجية؟

قبل أن ننتقل من الجانب النّظري إلى الجانب التطبيقي،في بحثنا هذا،تراءى لنا أنّه لِزاما علينا أن نقف في محطة مهمة تُعد الجسر الواصل بين الجانبين،وهي الوقوف على كيفية اشتغال الاستعارة حجاجيا،وكيف تكون رافـــــــــــــدا من روافد الإقناع يوظّفها الشاعر لخدمة نتيجة معينة يسعى للوصول إليها وإقناع السامعين بها.

ورد عند البلاغيين القدامى أنّ ((من شأن الاستعارة أن تكون أبدا أبلغ من الحقيقة))[35] أي إنّ القول الاستعاري أبلغ من القول العادي وبالتالي يكون أكثر إفهاما وتأثيرا.ومن المسلم به أنّ الحجج التي تُقدّم لصالح نتيجة ما تكون متفاوتة في القوّة،وأنّ الدليل الأقوى يقع في أعلى درجات السّلم الحجاجي و((الأقوال الاستعارية أعلى،حجاجيا ،من الأقوال العادية))[36] ،وعليه فإنّها تتموضع في أعلى السّلم الحجاجي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي مقاربته للاستعارة حجاجيا،انطلق أبو بكر العزاوي من عقد مشابهة بين دور الاستعارة ودور بعض الروابط الحجاجية مثل "حتى"،ذلك أنّ الرابط الذي يرد بعدها يكون أقوى حجاجيا وأعلى سلميا من الأدلة التي ترد قبله[37].وعليه ستكون الاستعارة أقوى حجاجيا.وبناءً على ما تقدم سنبرز حجاجية الاستعارة باعتماد السّلم الحجاجي؛حيث تشكّل العناصر (أ-ب-ج..) مقدمات ،أو أقوال،أو حجج تفضي إلى النتيجة(ن).ويتضّح ذلك أكثر من خلال الشكل التالي:

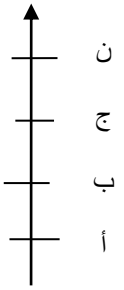

وممّا تجدر الإشارة إليه،هو أنّ السلّم الحجاجي يتميز بخاصيتين اثنتين وهما:
-كلّ قول يرد في درجة ما من درجات السّلم،يكون القول الذي يعلوه دليلا أقوى منه بالنسبة إلى النتيجة(ن).
-إذا كان القول(ب)يؤدي إلى النتيجة(ن)،فهذا يعني،أنّ(ج)الذي يعلوه درجة يؤدي إليها،والعكس غير صحيح[38] .وليتضّح الأمر أكثر نتأمل الأقوال التالية:
-أحمد شجاع.
-أحمد قوي.
-أحمد أسد.
وانطلاقا من كون القول الاستعاري يمتلك قوّة حجاجية عالية،وبالتالي سيتموضع أعلى السّلم الحجاجي، يكون ترتيبنا للأقوال على الشكل التالي:

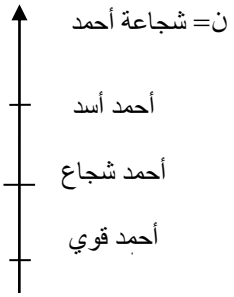

الاستعارة الحجاجية في نقائض جرير والفرزدق:

انبنت النقائض،في العصر الأموي خاصة،على جملة من المقوّمات التي تشكّل لبنات أساسية في بنائها ،وهي على العموم تدخل في أبواب الأيّام،والأنساب و الأحساب، والدين، والشعر، والشمائل والحوادث الاجتماعية والمواقف السياسية[39].

بالنّظر إلى هذه المقوّمات نلاحظ أنّها تستوفي كلّ ما يمكن أن تحتويه النقائض،غير أنه تبقى لكل خصومة خصوصيتها المنبعثة من خصوصية الشاعرين اللذين يصنعانها.وعليه نجد أنّ المعاني الأكثر

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دورانا في شعر جرير هي((القين، وجعثن، والزبير، والزنا، وضربة الرومي في هجائه للفرزدق،كما فخر بتقواه وأيام يربوع وقيس والردافة والإجازة،وأنّ الفرزدق أكثر من ذكر ضِعة جرير،وفقره،وافتخر بالجود والمعاقرة،وإحياء الموءودات والإجارة بقبر أبيه ورجالات قومه))[40].

وفي مجال بحثنا هذا،نسعى للكشف عن الاستعارة الحجاجية وكيفية اشتغالها في نقائض جرير والفرزدق.وبالنّظر إلى طول المدوّنة،وقيام الشعر العربي في مجمله على الصورة الشعرية ،والاستعارة واحدة منها ،مما يعني توافر النقائض على عدد كبير منها،يعسر معه الاشتغال عليها جميعا ،لذلك ارتأينا أن نركّز بحثنا بداية على الاستعارات الـــــــــواردة في مجالي الفخر والهجاء،ثم نعمد إلى التركيز على أشهر المجالات التي وقع فيها التفاخر والتهاجي بين الشاعرين.

1-استعارات الفخر:

-الأيّام:

تمثّل المحور الأساس الذي دارت عليه أغلب النقائض،يوظّفها الشعراء فخرا إذا كان النّصر فيـــــــها حليفهم،وهجاءً وتعييرا لخصومهم،إذا كانت الهزيمة مآلهم.وتعدّ الأيام الجاهلية أشدّ ظهورا بين جرير والفرزدق.وفيما

يخصّ الأيّام التي كانت تعدّ محطّ فخر لشاعرينا نلاحظ أنّها كانت محصورة في أيّام محدّدة.فقد ((كان جرير يفتخر بأيّام لتميم عامّة حينا،وأيّام ليربوع خاصّة حينا آخر،وذلك يكون في وجه مجاشع رهط الفرزدق،وأيّام لقيس عيلان أمام الفرزدق والأخطل.وأنّ موقف الفرزدق جعله يفخر بأيّام تميم كثيرا،إذ جعل نفسه زعيمها والمتكلم باسمها،كما افتخر بأيّام لدارم رهطه خاصّة ولعلّ ذلك قليل))[41].

وغالبا ما يكون ذكر هذه الأيّام مقرونا بالحديث عن القوّة ووصف شجاعة المقاتلين،والهزائم التي ألحقت بالطّرف الآخر.وممّا ورد ذكره/في هذا المجال/على سبيل الفخر نذكر:ما افتخر به الفرزدق حين قال:

لَقَدْ تَرَكَ الهُذَيْلُ لَكُمْ قَديماً مَخازِيَ لا يَبِتْنَ عَلَى إرابا [42]

و إراب هو يوم لتغلب على يربوع،وفيه أغار الهذيل بن هبيرة التغلبي على بني رياح بن يربوع.وفيه يفخر الفرزدق بالانتصار الذي حقّقه الهذيل من خلال الإشارة إلى المخازي التي تركها لهم ،على اعتبار أنّ عدم القدرة على ردّ اعتداءات الخصوم هو خزي ما بعده خزي،وقد عبّر الشاعر عن ذلك المعنى باستعارة مكنية تؤكد المعنى الذي يودّ الوصول إليه وهو قوة قبيلته وانتصارها مقابل ضعف قوم جرير وهزائمهم في الحروب .

- ن الانتصار في هذا اليوم
- ب المخازي دليل هزيمة وانكسار
- أ يوم إراب ترك المخازي لقوم جرير

فالشاعر يسعى لإقناع خصمه بنتيجة وهي قوّة قبيلته،ولحمله على الاقتناع بذلك،يوظّف حدثًا تاريخيا معلوما لدى خصمه ولدى الآخرين،وبالتالي يشحن كلامه بطاقة إقناعية لا سبيل إلى نكرانها،وما على الخصم إلاّ التسليم معه بصحة النّتيجة التي اتخذ من الاستعارة سبيلا لبلوغها.

ويجعل اندفاعهم للحرب وإقبالهم على الموت ليس سوى سعي منهم لبلوغ المكارم،قال:

فَإنَّا أُناسٌ نَشْتَرِي بِدمائِنا دِيارَ المَنايا رَغْبَةً فِي المَكارِمِ [43]

كما وظّف الشاعر الاستعارة المكنية في سبيل الحديث عن جسامة التضحيات التي يبدلونها لبلوغ المكارم .وتظهر حجاجية هذه الاستعارة من خلال ما يلي :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ن - هم دفعوا الثمن الغالي(الدماء) فتحصلوا على الشيء الغالي(المكارم)

ب - من يدفع الثمن الغالي يتحصل على الشيء الغالي

أ - من يدفع الثمن الرخيص يتحصل على الشيء الرخيص

فالفرزدق ينطلق من حجّة منطقية،مفادها على قدر البدل تكون النتيجة،وبالتالي يجعل الآخرين يسلّمون معه بأنّه من يدفع الثّمن الرخيص يتحصّل على الشيء الرخيص،ومن يدفع الثّمن الغالي يتحصّل على الشيء الغالي،ثـــــــــمّ يصرّح بأنّهم دفعوا دماءهم ثمناً للمكارم،وما دام الدّفع قد حصل فإنّهم بالغون المكارم لا محالة.

وفي مجال الافتخار بالحرب،نجده يذكر موقفا يدلّ على القوّة أيضا،وهو التعامل مع أسرى الحرب؛حيث يقول: **فَلا نَقْتُلُ الأَسْرى وَلَكِنْ نُفُكُهُم إذا أَثْقَلَ الأَعْناقَ حَمْلُ المَغارِمِ** (44)

فالشاعر يحدّد مصير الأسرى الذين يظفر بهم العدّو في حال هزيمتهم،فهم لا يتركونهم للموت وإنّما يسارعـــــــون إلى افتدائهم،حتّى ولو كانت قيمة فديتهم عالية،وممّا يثقل الأعناق.وتظهر حجـــــــاجية هذه الاستعارة المكنيـــــــــــــــــة من خلال تكريسها لقوّة القبيلة،في حالتي النّصر والهزيمة،فهي تقف حجّة على قوّة القبيلة.

ن - هم أقوياء ماديا

ب - لا يعبؤون بالقيمة المادية للفدية

أ - الأسرى مصيرهم القتل أو الافتداء

فالشاعر ينطلق من حقيقة أنّ الأسرى مصيرهم القتل أو الافتداء،وهم يسارعون إلى افتداء أسراهم مهما بلغت قيمة الفدية،ومنه يتوصل إلى النتيجة التي يودّ إقناع الآخرين بها،وهي قوّة قبيلته من حيث الجانب المادي.

وفي مجال الأيّام وما يرتبط بها،نجد جريرا يكرّس كلّ ما من شأنه أن يشكّل مجال افتخار يواجه به خصمه ومن الأيّام التي افتخر بها نذكر يوم الإياد الذي كان ليربوع على بكر ،وفيه يقول:

وما شَهِدَتْ يَوْمَ الإيادِ مُجَاشِعٌ وذا نَجَبٍ يَوْمَ الأَسِنَّةِ تُرْعَفُ (45)

وقد تحدث عن كثرة القتلى الذين خلّفوهم في صفوف الخصوم ،وذلك من خلال وصفه للأسنّة التي كانت تتقاطر دماءً غزيرةً،وهي استعارة مكنية تقف دليلا ساطعا على قوّة القبيلة الحربية .

ن - النصر كان حليفهم

ب - غزارة الدماء دليل على كثرة القتلى

أ - يوم الإياد ويوم ذي نجب تقاطرت الأسنة دماء غزيرة

ولأنّ الانتصار قرين القوّة،نجده يقرّ بقوّتهم من خلال قوله:

أَلاَ رُبَّ جَبّارٍ عَلَيْهِ مَهابَةٌ، سَقَيْناهُ كَأْسَ المَوْتِ حَتَّى تَضَلَّعا (46)

فهو يوظّف استعارة مكنية يقرّ من خلالها بمدى قوّة القبيلة التي تصل إلى حد قهر الجبابرة حتى إنهم يسقونهم الموت حد التشبّع.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

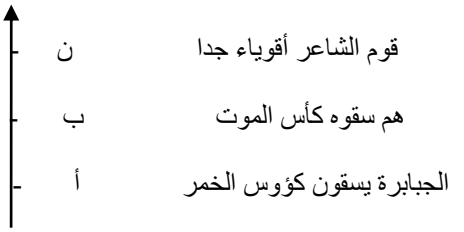

فالشاعر ينطلق من كون الجبابرة يهابهم النّاس ويرهبونهم،ويقدّمون لهم الولاء والطّاعة،وقومه سقوا الجبّار كأس الموت بدل كؤوس الخمر،ومنه نصل إلى نتيجة وهي أنّهم أقوى من الجبابرة،وفي هذا إثبات لقوّة القبيلة.

-النّسب :

افتخر الفرزدق بنسبه كثيرا أمام جرير الذي عُرف بضعة نسبه،واتخذ من ذلك مطيّة لإثبات الأفضليـــة على خصمه وجعل علوّ نسبه ممّا تشهد به مخلوقات الله في سمائه ،و يتّضح ذلك في قوله:

وَلَوْ سُئِلَتْ مَنْ كُفْؤُنا الشَّمْسُ أَوْمَأَتْ إِلَى ابْنَيْ مَنافٍ عَبْدِ شَمْسٍ وهاشِمِ (47)

فالشاعر قد جعل الشّمس شاهدا على رفعة نسبه عندما حصرت من يعدلهم في بني عبد شمس وبني هاشم بيوت الشّرف والسّيادة والنبوّة.ولإيصال هذا المعنى وظّف استعارة مكنية تقف دليلا على علوّ مكانته .

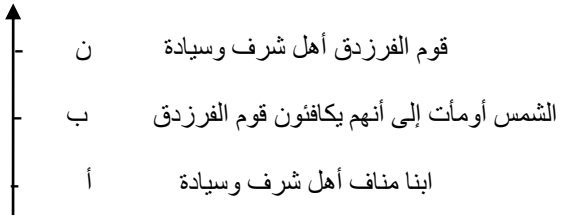

تبدو الفعالية الحجاجية لهذه الاستعارة من انطلاق الشاعر من حقيقة مسلّم بها عند الجميع،وهي أنّ ابني عبد مناف أهل شرف وسيادة،وعندما يساوي الشاعر قومه بهما،فهذا يعني ضمنيا أنهم يعدلونهما في الشّرف والسيادة وعليه،فالشّاعر ينطلق من فكرة مسلّم بها لدى الآخرين،ويجعلهم يصلون إلى النّتيجة المتوخاة،وبالتالي يستحوذ على قناعتهم،ويجعلهم يسلّمون له بالشّرف والسّيادة.

ويذهب جرير هو الآخر إلى الافتخار بنسبه،ويجعل عزّه وشرفه موهبة إلهية لا سبيل إلى بلـــوغها أو نُـــكرانها وفي ذلك يقول:

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّماءَ بَنَى لَنا عِزًّا عَلاكَ فَمَا لَهُ مِنْ مُنْقَلِ(48)

حيث شبّه العزّ وهو معنوي بالبناء الذي يُشاد وهو ماديّ،فحذف المشبه به وأبقى على ما يدل عليه (بنى)وهي استعارة مكنية .

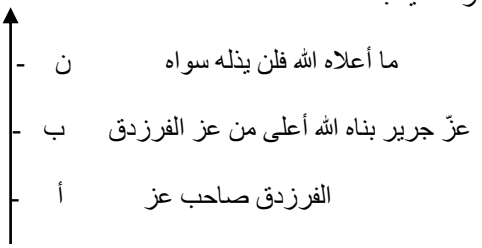

وتتمثّل الغاية الحجاجية لهذه الاستعارة في كون جرير يسعى إلى إقناعنا بفكرة،وهي أنّه أعزّ جانبا من خصمه الفرزدق،ولكي يجعلنا نقتنع بهذه النتيجة ونسلم معه بها،انطلق من الاعتراف بعزّ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفرزدق،غير أنّه لم يستحضر هذا الاعتراف إلاّ ليوظّفه لمصلحته هو؛حيث أدخله في باب المفاضلة،وجعل عزّه فوق عزّ الفرزدق،وحتّى لا يدع مجـــــــالا للطّعن في هذه الأفضلية،نسب بناء هذا العزّ إلى الله عزّ وجلّ،ليوحي بذلك أنّ تفضيله على الفـــــــــرزدق إرادة إلهية وما أراده الله فلن يغيّره سواه.

- الشّاعرية:

لم تكن النقائض معركة سياسية أو قبلية فحسب،بل كانت معركة أدبية أيضا حيث راح كلّ خصم يثبت جدارته في مجال الإبداع الشّعري،ويسم نتاجه بما يخوّل له الغلبة والقوّة . فهذا جرير يتحدّث عن مدى تأثير شعره في خصومه فيجعل من قصائده ألسنة حارقة،وهو لا يتحدّى شاعرا واحدا بل يتحدّى زمرة الشّعراء جميعا،يقول:

أَعَدَّ اللهُ للشُعَراءِ مِنّي صَواعِقَ يَخْضَعونَ لَها الرِّقابا(49)

فالشّاعر يستعمل استعارة تصريحية بغية الوصول إلى نتيجة مفادها تحقيق الأفضلية والغلبة حتّى في فن القول أي المجال الشّعري الذي يعدّ هو الآخر مجال منافسة .

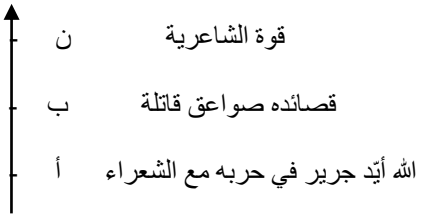

يقرّ جرير أنّ الله قد خصّه بقدرة في الهجاء،تجعل سائر الشعراء يهابونه،ويحنون رقابهم له صاغرين أذلاء.وقد وظّف الاستعارة التصريحية ليحتجّ لقوّته الفنيّة وتفوّقه في مجال الشّعر،وبخاصّة الهجاء،ومنافسته مع الشّعراء.وللتأكـــــــــــــــــيد على قوّته جعل قصائده صواعق قاتلة،وليتمكن من إقناع الآخرين أكثر،جعل كلّ ذلك يتمّ بإرادة إلهيّة لا بشرية.

ويؤكد الفرزدق،هو الآخر على التأثير الكبير لهجائه على الأعداء وذلك بضرب الأمثال الخبيثة المشهـــــــــــــــورة حتّى إنّها تكون بمثابة السّيوف الحادّة التى تقطع الآذان،يقول:

إنّي كَذَاكَ إذا هَجَوْتُ قَبيلَةً جَدَّعْتُهُمْ بِعَوارِمِ الأَمْثالِ(50)

والبيت يتضمن استعارة مكنية تُنبئ عن مدى تأثير هجاء الشّاعر في الآخرين ويتّضح ذلك ممّا يلي:

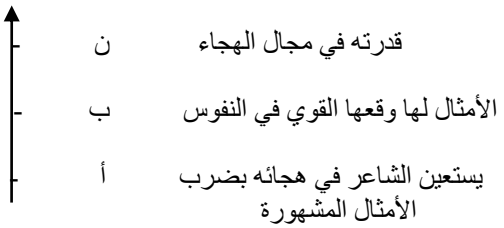

يخبرنا الشّاعر أنّه في هجائه للقبائل يعتمد على الأمثال،ونحن نعلم أنّ الأمثال تختزن طاقة حجاجية إقناعية،لأنّها تحظى بالقبول والإجماع،والاعتماد على الطاقة الحجاجية للمثل من شأنه أن يعزّز جانبه،ويُحرز الغلبة لصاحـــــــــــبه حينما يجعل الآخرين يسلّمون معه بفحواه،وبالتالي يكون تأثير الأمثال قويّا على الخصم،ولا سبيل إلى المناص منه.

وفي صورة مميّزة ينفرد فيها الفرزدق للتأكيد على شاعريته،فيستعير لقصائده لفظ الأوابد للدّلالة على عدم قدرة الشّعراء على مجاراته ،يقول:

لَنْ تُدْرِكوا كَرَمي بِلُؤْمِ أَبيكُمُ وَأَوابِدي بِتَنَحُّلِ الأَشْعارِ(51)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالشّاعر بتوظيفه للاستعارة التصريحية يوهمنا أنّنا في مجال مطاردة أو صيد ويمكننا تأويل البيت كالتالي:

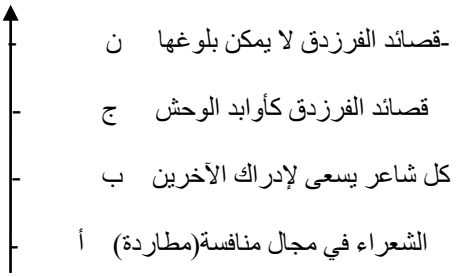

وكلّ ذلك يصب في نتيجة واحدة وهي إثبات الأفضلية للفرزدق.

2-استعارات الهجاء :

إنّ المحاور التي دار عليها الفخر هي نفسها التي يدور عليها الهجاء؛حيث تُتناول المعاني الايجابية بالإثبـــات في حالة الفخر،والنّفي في حالة الهجاء،وسنتجاوز ذلك تفاديا للتّكرار،وقد ذكرنا سابقا المعاني التي تمحورت حولها المهاجاة بين جرير والفرزدق،غير أنّنا آثرنا أن نبحث مجالا بدا بارزا وهو المجال الأخلاقي.

-الأخلاق والصّفات:

في إطار الحديث عن الأخلاقيات والصّفات التي من شأنها أن تحطّ من قيمة الإنسان،وتُدني من قـــــــــــــدره بين النّاس نجد الشّاعرين يركزان على جملة من الصّفات كان اللّؤم أكثرها حضورا .وفيما يلي سنعرض لبعض هذه الصّفات وعند كلا الشّاعرين.

عُرف الفرزدق بفسوقه وفساد دينه،وهو ما جعل جريرا لا يتوانى في تعييره بهذا الجانب الذي يعدّ منقصة،يقول جرير :

وَكُنْتَ إذا حَلَلْتَ بِدارِ قَوْمٍ رَحَلْتَ بِخِزْيَةٍ وتَرَكْتَ عارا[52]

فالشّاعر يؤكّد على فساد أخلاق الفرزدق وذلك أنه إذا حلّ بمكان ما ونزل ضيفا على قوم ما لا يرحل عنهم إلاّ وقد ارتكب ما من شأنه أن يخزيه ويترك لهم عار فعلته.وقد عبّر عن هذا المعنى موظّفا استعارة مكنية نوضّـــــــــــــــــح حجاجيتها كما يلي:

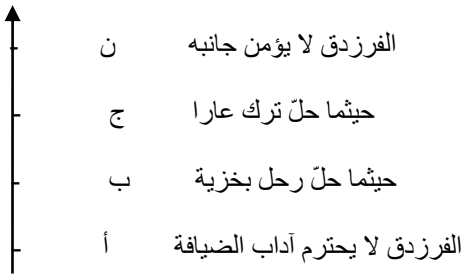

فجرير يطعن في الجانب الأخلاقي للفرزدق،مستغلّا الطاقة الحجاجية للاستعارة،التي وظّفها في هذا البيت والتي يجعل من خلالها الفساد صفة لصيقة بالفرزدق حيثما حلّ وارتحل،ولكي يكون أكثر إقناعا بفساد أخلاقه جعله حيثما حلّ رحل بالخزي وترك العار لمستضيفيه،فبئس ما ترك وبئس ما أخذ.

وفي موضع آخر يذهب جرير مذهبا بعيدا في الحكم على الجانب الأخلاقي للفرزدق ،والتأكيد على الجانب السلبي منه،وذلك عندما يُظهره وكأنّ الإصرار على السوء سلوك متجذّر فيه.يقول:

أَتَيْتَ حُدودَ اللهِ مُذْ أَنْتَ يافِعُ وشِبْتَ فَما يَنْهاكَ شِيبُ اللّهازِمِ [53]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهذا البيت يشمل على استعارة مكنية سيقت لخدمة نتيجة هامّة وهي أنّ إتيان السوء مصاحب للفرزدق في كبره كما في صغره،أي أنه لا ينصلح حاله رغم مرور الزّمن:

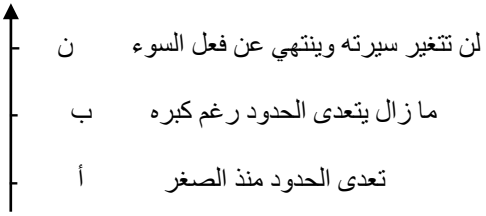

فجرير يحاجج لإثبات فساد الفرزدق،وما توظيفه لهذه الاستعارة إلاّ لحملنا على الاقتناع بفساده،وحجّته في ذلك أنّ من لم ينهه شيبه عن تجاوز الحدود فلا أمل منه.

وفي الجانب المقابل من النقيضة نجد الفرزدق ،هو الآخر،يلصق بجرير جملة من الصفات التي إن ألحقت بشخص كانت وَبالاً عليه وحكما بالتّدني،يقول :

تَسَرْبَلَ ثَوْبَ اللُّؤْمِ في بَطْنِ أُمِّهِ ذِراعاهُ مِنْ أَشْهادِهِ وأَنامِلُه (54)

هذا البيت يجعل اللؤم صفة لصيقة بجرير إذ إنّه اكتسى اللؤم وهو جنين في بطن أمه وأقام بعض أعضائه شهودا عليه.وقد وظّف الاستعارة المكنية التي تظهر حجاجيتها كما يلي:

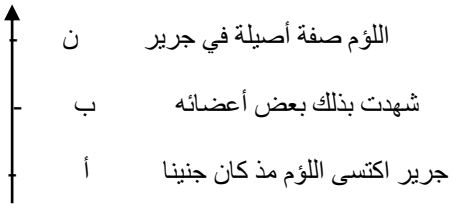

فهو لا يقف باللّؤم عند جرير فحسب،بل يعمّمها في قومه ليعطي لتلك الصّفة حضورا أكبر بجعلها متأصّلة في شخص جرير وفي قومه أيضا،يقول:

فَأَغْلَقَ مِنْ وَراءِ بَنِي كُلَيْبٍ عَطِيَّةَ مِنْ مَخازِي اللُّؤْمِ بابا (55)

وبتوظيف الاستعارة المكنية جعل لؤم بني كُليب يبلغ حدّه الأقصى؛حيث نسب غلق باب اللؤم إلى عطيّة والد جرير،وبذلك لم يُبق لأحد خزي بعده.

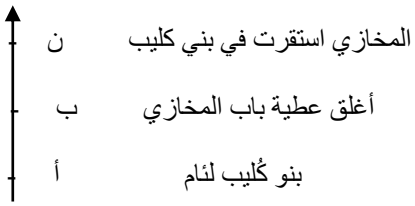

وفي الأخير نخلص إلى أنّ الحرب الكلامية التي دارت بين جرير والفرزدق،والتي استمرت أكثر من أربعين سنة،حاول فيها كلّ شاعر أن يثبت الأفضلية لنفسه،وعلى جميع الأصعدة،والإطاحة بخصمه بنقض كلّ محاسنه وإلصاق كلّ المساوئ به.وفي إطار هذه العملية الحجاجية،راح كلّ شاعر يستغلّ كلّ ما من شأنه أن يقوّي جانبه ويضمن له الغلبة.وقد كانت الاستعارة واحدة من تلك الوسائل التي اتكأ عليها الشاعران كما هو الحال في مجالي الفخر والهجاء.

ففي الفخر،أكثر الفرزدق من توظيف الاستعارة في ذكر النّسب والأيّام ليبيّن من خلالها انتصاراتهم وقوّتهم الحربية والمادية ،وتظهر حجاجيتها من خلال توظيفها لخدمة نتيجة واحدة وهي أنه أقوى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأفضل من خصـــــــمه جرير،أمّا جرير فيركّز أكثر على الشّاعرية ويجعلها مناط فخره. أمّا في الهجاء،فحضرت الاستعارة وبقوّة في مجال الأخلاق والصّفات،وكانت صفة اللّؤم قاسما مشتركا بينهما،غير أنّ جريرا كان يلّح على فساد دين الفرزدق.

وممّا سبق ذكره يمكننا القول إنّ كلا الشاعرين كان يسعى لإثبات الأفضلية لنفسه دون خصمه ،وأنّه الأرفع نسبا والأقوى حربا والأكثر شاعرية،وأنّ خصمه دونه منزلة ،ولخدمة هذه النتيجة وظّف الاستعارة ،وقد كانـــت أكثرها مكنية.وانطلاقا من كون الاستعارة لا تكون حجاجية إلاّ إذا كانت لها القدرة على التأثير في الآخـــــــــرين وجعلهم يقتنعون بالآراء المطروحة ويسلّمون بها،فإنّ استعارات جرير والفرزدق في نقائضهما،كانت ذات بعـــــــد حجاجي،وقد تراءى لنا ذلك جليّا من خلال النماذج الشّعرية التي عرضناها.

وكي تنهض الاستعارة بدورها الحجاجي في النقائض،وجدنا شاعرينا قد شحنا الاستعارات التي وظّفـــــــــــــاها في خصومتهما بطاقة حجاجية إقناعية،وذلك انطلاقا من بناء هذه الاستعارات على:

-توظيف الحجج المنطقية التي تحظى بالقبول والتسليم.

-الانطلاق من الحقائق المسلّم بها لدى الآخرين.

-التدرّج في الوصول إلى النّتيجة،ممّا يجعل المتلقي يقتنع بها وكأنّها من نتاجه الخاص.

-احساس المتلقي باشتراكه في تحديد النّتيجة باعتبارها تحصيل حاصل.

وكلّ هذه الأمور جعلت الاستعارة تنهض بوظيفة إقناعية في نقائض جرير والفرزدق،مع الإشارة إلى أنّها ليست الآلية الحجاجية الوحيدة التي اعتمد عليها الشّاعران في حجاجهما،وإنما استندا إلى الكثير من الآليات الأخرى اللّغوية،والبلاغية،والمنطقية.

الهوامش:

1- عبد العزيز لحويدق:نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية من أرسطو إلى لايكوف ومارك جونسون.دار كنوز النشر،الأردن،ط 1، 2015 ، ص10-11.

2- محمد الولي:مدخل إلى الحجاج.أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان،مجلة عالم الفكر،الكويت،العدد 02 ،المجلد 40 ،2011 ،ص 31-32.

3- عمر أوكان:اللغة والخطاب. افريقيا الشرق،المغرب،د.ط،2001،ص 125.

4 - ميشال لوغرن:الاستعارة والحجاج.تعريب الطاهروعزيز،مجلة المناظرة،السنة الثانية،العدد04،الرباط،المغرب،1991،ص86.

5 - للتوسع أكثر أنظر: عبد العزيز لحويدق،مرجع سابق،ص 13 وما بعدها.

6 - عمر أوكان:مرجع سابق،133-134.

7 -للتوسع في هذه الأفكار راجع:عمر أوكان :اللغة والخطاب،ص126 وما بعدها.

8-آ.أ.ريتشاردز:فلسفة البلاغة.ترجمة سعيد الغانمي وناصر حلاوي.افريقيا الشرق،د.ط،2002،ص 91-92.

9 - أحمد عبد السيد الصاوي:مفهوم الاستعارة في بحوث اللّغوين والنقاد والبلاغين دراسة تاريخية فنية.منشأة المعارف، الاسكندرية، مصر،د.ط، 1988 ص 82.

10 - عبد القاهر الجرجاني:أسرار البلاغة في علم البيان.تح محمد الاسكندراني وم.مسعود،دار الكتاب العربي،بيروت،د.ط،2005،ص 31.

11 - الصاوي،مرجع سابق،ص 87 .

12 - عبد القاهر الجرجاني:دلائل الإعجاز.شرح وتعليق عبد المنعم خفاجي،دار الجيل،بيروت،ط 1 ، 2004،ص 274.

13 - المصدر نفسه،ص 275.

14 - المصدر نفسه،ص 275

15 - علي عمران:حجاجية الصورة الفنية في الخطاب الحربي خطب الإمام علي أنموذجا.دار نينوي،سوريا،د.ط،2009 ،ص 44.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

16 - عبد القاهر الجرجاني:دلائل الإعجاز،ص 90.
17 - حدّد الجرجاني فائدة الاستعارة في توصيلها معنى لا يمكن الوصول إليه دونها،ذلك أنّك إذا قلت:((رأيتُ أسداً –وأنت تعني رجلا شجاعا-..فقد استعرت اسم الأسد للرجل،ومعلومٌ أنّك أفدت بهذه الاستعارة ما لو لاها لم يحصل لك،وهو المبالغة في وصف المقصود بالشجاعة،وإيقاعك منه في نفس السامع صورة الأسد في بطشه،وإقدامه،وبأسه وشدّته،وسائر المعاني المركوزة في طبيعته،ممّا يعود إلى الجرأة)). أسرار البلاغة،ص 33.
18 - عبد القاهر الجرجاني:أسرار البلاغة،ص 41 .
19 - المصدر نفسه،ص 40.
20 - محمد الولي:الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية،مطبعة الكرامة،الرباط،ط1، 2005،ص 453.
21- Chaim Perelman L'empire Rhétorique.Rhétorique et Argumentation ,éd Vrin,Paris,2012,PP61-62
22 - محمد الولي:الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية،ص 457.
23- Chaim Perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca, Traité de L' Argumentation, éditions Université de Bruxelles ,2008,P535.
24 - عبد العزيز لحويدق:مرجع سابق،ص 242.
25 - محمد الولي:الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية،ص 460.
26 - المرجع نفسه ،ص 463.
27 - طه عبد الرحمان:اللسان والميزان أو التكوثر العقلي،المركز الثقافي العربي الدار البيضاء،ط 2، 2006،ص 230.
28 - المرجع نفسه،ص 232.
29 - المرجع نفسه،ص 232.
30 - المرجع نفسه،ص 305-.306
31- المرجع نفسه،ص 309.
32 - المرجع نفسه،ص 310.
33 - المرجع نفسه،ص 311.
34 - المرجع نفسه،ص 312- 313.
35 - الجرجاني:دلائل الإعجاز،ص 274.
36 - أبو بكر العزاوي:اللغة والحجاج،مؤسسة الرحاب الحديثة،بيروت،ط 2009،1،ص 106
37 - المرجع نفسه،ص 106.
38 -المرجع السابق،ص 104.
39 - أحمد الشايب:تاريخ النقائض في الشعر العربي.مكتبة النهضة المصرية،ط 3، 1966،ص 257 .
40 - المرجع نفسه،ص 330.
41 - المرجع نفسه،ص 258.
42 - كتاب النقائض :نقائض جرير والفرزدق،أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري،مج 1،تح محمد أحمد عبد العزيز سالم،دار الكتب العلمية ،بيروت ط2، 2007،ص 339.
43 - المصدر نفسه،مج 1،ص 282
44 - المصدر نفسه،مج 1،ص 277.
45 - المصدر نفسه،مج 2 ،ص 27.
46 - المصدر نفسه،مج 2،ص 205.
47 - المصدر نفسه،مج 1،ص 282.
48 - المصدر نفسه،مج 1،ص 165.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

49 - المصدر نفسه،مج 1،ص 318.
50 - المصدر نفسه،مج 1،ص 202.
51 - المصدر نفسه،مج 1،ص 236.
52 - المصدر نفسه،مج 1،ص 184.
53 - المصدر نفسه،مج 1،ص 285.
54 - المصدر نفسه،مج 2،ص 43.
55-المصدر نفسه،مج 1،ص 335.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com